

- تبين لي بعد تأمل أسماء مكة المكرمة الواردة في القرآن الكريم أنّ كلاً منها قد ورد موافقاً للسياق الذي جاء فيه، فلما مكّن الله أصحاب النبي ﷺ من أراد العذر بهم عام الحديبية ذكرها باسمها المعروف فقال: ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة...﴾؛ لأنّ مكة قد مكّت الكفار يومئذٍ أي: محقتهم، وحين زعم اليهود أنّ بيت المقدس أفضل من الكعبة، ذكرها الله باسم بكة؛ ليؤكد لهم إنّها أعظم، لأنّ الناس في كلّ زمن يتباكون عندها، أي: يزدحمون، فقال: ﴿إنّ أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً...﴾، وسماها أم القرى في مواضع الإنذار بالعذاب؛ لتعلم القرى الأخرى أنّ الإنذار إذا كان موجّهاً إلى أم القرى، فهو لعامتها من باب أولى، فقال تعالى: ﴿لتنذر أمّ القرى ومن حولها﴾، وورد اسم القرية في مواضع التقرّيع للكفار، إذ كان ذكر القرى مرتبطاً غالباً بذكر الهلاك والعذاب، قال ﴿وكأين من قرية هي أشدّ قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم﴾ وهكذا بقية الأسماء.

- وظهر لي بعد التأمل العلمي الدقيق للنصوص الشرعية أنّ مسألة تحديد نسبة الحجيج - من كل مليون ألفاً أو غير ذلك - قد تدخل في الإلحاد في الحرم؛ لأنّ الله سبحانه حين دعا الخلق إلى بيته الحرام لم يضع لتلك الزيارة سوى شرط واحد هو الاستطاعة فقال: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾، وتحديد النسبة إدخال أمر في الشرع ليس منه، وقد حذرت الآية الكريمة التي ذكرت عاقبة الإلحاد في الحرم، من أي نوع من أنواع الصدّ عن المسجد الحرام، وذكرت أنّه وضع للناس كافة وبلا استثناء، قال تعالى: ﴿إنّ الذين يصدّون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نُذِقْهُ من عذاب أليم﴾.

- وتوصّلت إلى أنّ حبّ النبي ﷺ للمدينة المنورة يفوق حبّه لمكة؛ لقوله ﷺ: ﴿اللهم حبّ إلينا المدينة كحبّنا مكة أو أشدّ﴾.

- واتّضح لي أنّ معنى قوله ﷺ: ﴿صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلّا المسجد الحرام﴾، أنّ الصلاة في المسجد النبوي خير من ألف

صلاة فيما سواه من عامة المساجد إلا المسجد الحرام فإن الصلاة فيه بمائة ألف، وقد حصل الاستثناء كي لا يُستوى بين المسجد الحرام وعامة المساجد، وإن «خير» نكرة غير مُحددة والمعنى أن الصلاة في المسجد النبوي قد تكون بمائة ألف، أو مئتي ألف فليس في هذا اللفظ تحديد ولكن قد وَضَّحَهُ دَعَاؤُهُ ﷻ للمدينة بأن يُضاعف الله البركة فيها ويجعلها مثل ما في مكة، ثم قال: ﷻ واجْعَلْ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ ﷻ، وبناءً على ذلك تكون الصلاة في المسجد النبوي ثلاثة أضعاف الصلاة في المسجد الحرام، أي: بثلاث مائة ألف.

- وتبيّن أن الصلاة المضاعفة هي الصلاة التي تؤدي بخشوع وخضوع وليست الصلاة العادية، وليس المقصود بمضاعفة الصلاة في قوله ﷻ: ﷻ فَضِّلُ الصَّلَاةَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عَلَى غَيْرِهِ بِمِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ... ﷻ، العدد المحدد، أي: مائة ألف حصراً، وإنما المقصود هو المضاعفة بأضعاف كثيرة، وإن تلك المضاعفة لا تنحصر في الصلّة المؤدّة داخل المسجد الحرام، وإنما تشمل الحرم كُله.

- ولا ح لي من قوله ﷻ حين سُئِلَ عَنِ الْحَجِّ أَكُلَّ عَامٍ هُوَ، فقال: ﷻ لو قلت نَعَمْ لَوَجِبَتْ وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ ﷻ، أن النبي ﷺ يجب لأفراد أمته أن يحجوا كُلَّ عامٍ، ولكنّه خَفَّفَ عَنْهُمْ رَحْمَةً بِهِمْ.

- وبَعْدَ التَّدْقِيقِ وَالتَّحْقِيقِ فِي الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي فَضْلِ عُمْرَةِ رَمَضَانَ ظَهَرَ لِي أَنَّهَا تَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى الْقَبُولِ مِنْ سِوَاهَا لِأَنَّ رُوحَانِيَّةَ حَضْرَةِ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ ﷺ تَكُونُ طَائِفَةً فِي تِلْكَ الْبَقَاعِ فِي هَذَا الشَّهْرِ، لَمَّا صَحَّ مِنْ قَوْلِهِ ﷻ: ﷻ... تَعْدُلُ حَجَّةٌ مَعِيَ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ ﷻ، ولما ثبت أنه ﷻ رأى روحانيات الأنبياء عليهم السلام قاصدة البيت الحرام، كقوله ﷻ: ﷻ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى ﷻ هَابِطاً مِنَ السَّمَاءِ وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللَّهِ بِالتَّلْبِيَةِ ﷻ، فلما أُعْطِيَ ذَلِكَ لغيره من الأنبياء فَإِنَّهُ يُعْطَاهُ مِنْ بَابِ أَوْلَى لِأَنَّهُ ﷻ أَشْرَفَ الْأَنْبِيَاءِ.

- وظهر لي أنّ الرحمت المشار إليها بقوله ﷻ: ﷻ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْزِلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَشْرِينَ وَمِائَةً رَحْمَةً، يَنْزِلُ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ سِتُونَ لَلطَّائِفِينَ، وَأَرْبَعُونَ لَلْمُصَلِّينَ، وَعَشْرُونَ لَلنَّازِلِينَ ﷻ، إِنَّمَا تَصِيبُ ذَوِي الْقُلُوبِ الرَّحِيمَةِ، لِقَوْلِهِ ﷻ: ﷻ: إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عْبَادِهِ الرَّحْمَاءِ ﷻ.

- وعند الجمع بين الأحاديث التي تذكر مواطن إجابة الدعاء في مكة المكرمة اتضح لي أنّ الدعاء في جميع أنحاء المسجد مستجاب.

- وتبيّن أنّ الموت بالمدينة المنورة أفضل من الموت بمكة؛ لأنّه ثبت أنّ النبي ﷺ كان إذا دخل مكة قال: اللهم لا تجعل مناينا بها حتى تخرجنا منها ﷻ، فإذا أكمل نُسكَهُ عاد مسرعاً إلى المدينة، فإذا اقترب من حدودها حرّك دابّته من حُبّها، وقال: ﷻ اللهم اجعل لنا بها قراراً ورزقاً حسناً ﷻ، فتبقى للموت بمكة فضيلته ولكن الموت بالمدينة المنورة أفضل.

- وظهر لي من خلال زيارتي للبقاع المقدّسة وجود أشخاص في محيط مكة على صفة الحبشي الذي ذكره النبي ﷺ بقوله: ﷻ يُجَرَّبُ الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ﷻ، وهؤلاء يحملون صفة الطّمع التي عنده، والتي أشار إليها النبي ﷺ بقوله: ﷻ فيسلبها حليتها، ويُجرّدها من كسوتها ﷻ، لذا ينبغي على القائمين على خدمة البقاع المقدّسة أن يحتاطوا لذلك بكل الوسائل الممكنة.

- وتوصّلتُ إلى أنّ العبادات في مكة المكرمة ينبغي أن يُتَوَخَّى فيها التيسير ويُتَجَنَّبَ فيها التعسير فمثلاً مسألة الوقوف على جبل عرفة لا ينبغي على الحجاج أن يشقّوا على أنفسهم بصعود الجبل؛ لأنّ النبي ﷺ قال: ﷻ عرفة كلّها موقف ﷻ، كما لا ينبغي للوعاظ أن يُجرّجوا على الناس عند صعودهم إيّاه؛ لأنّ في الأمر فُسحة، وكما أنّ النبي ﷺ صَلَّى الْمَغْرِبَ مَعَ الْعِشَاءِ جَمَعَ تَأْخِيرَ بَعْدِ الْإِفَاضَةِ مِنْ عُرَفَاتٍ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ لَنَا صَلَاتُهُمَا جَمْعَ تَقْدِيمٍ فِي عُرْفَةِ لَتَبَدِّلَ الْأَحْوَالَ، كما أنّه ليس من الواجب أن يكون الرمي تحديداً بَعْدَ الزوال، بل يجوز على مدار الساعة، ولما استلم النبي ﷺ الركنين

الأسود واليماني، فإنه يجوز استلام الأركان كلّها، وقد نُقل ذلك عن سيدنا معاوية، وسيدنا عبد الله بن الزبير، وسيدنا الحسن وسيدنا الحسين، وسيدنا جابر بن عبد الله، وسيدنا أبي الشعثاء جابر بن زيد رضي الله عنهم أجمعين.

والبيت كلّهُ مقام ابراهيم لذا تجوز صلاة ركعتي الطواف في جميع أنحاء المسجد الحرام؛ وقد يكسب المصّر على الصلاة خلف المقام إثماً عظيماً إذا تسبب بعرقلة الطائفين وإيذائهم.

-وَبَعْدَ التَّبَعِ والبحث والتقصي ظهر لي أنّ إباحة الرمي في جميع أوقات اليوم لا يحلّ المشكلة- مشكلة حوادث الرمي السنوية- ولكنّ الحل الجذري يتمثل في إنشاء بنايات خراسانية في منى تتسع لجميع الحجاج ويُجعل لكل بناية وقتاً معيناً للرمي لا تتعدّاه، فأما قوله: ﴿⇒ منى مناخ من سَبَقَ ⇒ ونُهيهِ عن البناء فيها، فلئلا تضيق على الحجاج ولما كانت الغاية من هذه البنايات التوسعة عليهم فإنّها غير داخلية في عموم النهي.

- كما توصلتُ إلى أنّ المدينة المنورة أفضل من مكة المكرمة فالأمر أوضح من أن يحتاج إلى بيان، وأظهر من الشمس للعيان والأحاديث الدالة على ذلك أكثر من أن تحصى، ووقائع الأحوال أكثر من أن تستقصى، وكفى بتفضيل كبار الصحابة لها كسيدنا عمر ◀.

-وتبيّن أنّ الشريف الحسين قد أخطأ خطأً شرعياً بخروجه على الدولة العثمانية وموالاته للانجليز، لقوله تعالى: ▶ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بعضهم أولياء بعض ◀، وقد ظهرت عاقبة ذلك الخطأ حين تخلّى الانجليز عنه في وقت كان هو بأمرٍ الحاجة إليهم.

- كما اتضح أنّ خطاب الملك عبد العزيز رحمه الله لأهل مكة بعد دخوله إليها كان خطاباً مليئاً بروح التسامح والعدل المشوب بالرحمة، وقد شفع هذا الخطاب

بالتطبيق العملي فكانت أعظم نتيجة لذلك أن ضرب الأمن أطنابه على ربوع الجزيرة في صورة لم تشهد لها المنطقة مثيلاً منذ عدة قرون.

-وظهر أن مكة المكرمة في العهد السعودي قد حظيت بإدارة حازمة رشيدة، فنتج عن ذلك تنظيم إداري عال، وترتيب دقيق مرموق.

-وتبين أن علامات الساعة على قسمين: محمود ومذموم فالمحمود كالتطور العلمي، والمذموم كانتشار المعاصي، وتبين لي أن معنى قول عبد الله بن عمر في ذكر إحدى علامات الساعة: ➡ إذا رأيت مكة قد بُعجت كظائم ➡ هو إشارة إلى شق الأنفاق في الجبال وهو واقع الحال اليوم.

-وظهر لي إن النبي ➡ أمر أصحابه بالإسراع عند المرور على ديار القوم الظالمين لئلا يصيبهم الظلمة الباقية في ذلك المكان، هذا إن لم يُصيبهم العذاب الذي أصاب أولئك الظالمين.

-وخلصت إلى أن الحكومة السعودية قد بذلت جهداً عظيماً في حماية الآثار الإسلامية، ولكن ما يزال ذلك الجهد وتلك العناية دون مستوى الطموح إذ لاتزال الكثير من تلك الآثار في طور النسيان، فلا بُد من الاعتناء بها كجزء من تراثنا الإسلامي المجيد الذي يمثل أعظم تراث على وجه الأرض.

-واتضح أن مكة المكرمة قد شهدت في العهد العثماني والهاشمي حركة علمية دائبة، فقد زخر المسجد الحرام بالعلماء الأفذاذ وطلبة العلم، وقد كان المذهب الحنفي هو المذهب الفقهي الرسمي للدولة العثمانية، وكان يُدرس الفقه الحنفي بالإضافة إلى فقه المذاهب الأخرى، فكان للناس سعة في الأخذ بتلك الآراء والتي تنبع جميعاً من الكتاب والسنة المطهرة، في حين كان المذهب العقائدي هو الأشعري وهو مذهب أهل السنة والجماعة منذ مئات السنين

-وظهر أن الإجازات العلمية كانت تمنح على وفق نظام الإجازات العلمية المتصلة السند إلى أئمة كل علم، والعلم المتصل علمٌ منور لا يخبو نوره بطول العهد وبُعد

الزمن، وتجد حامله دعاة سلامٍ وائمة رحمة ووثام، في حين كاد العمل بهذا النظام يختفي في العهد السعودي واقتصر على بعض البيوتات العلمية كبيت المالكي.

- واتضح أنّ التعليم في العهد السعودي قد انتقل انتقالاً شبه كُليّ من المساجد إلى المدارس والمعاهد والكُليات، وانتشرت العلوم الحديثة كالطب والهندسة إلى جانب العلوم الشرعية، وإنّ ممّا يُعدّ نوعاً من تقييد الفكر في هذا العهد هو الاقتصار على المذهب الحنبلي.

- وظهر أنّ السيد محمد المالكي هو أبرز من تصدّى للمفاهيم الخاطئة الوافدة على الفكر المكي في العهد السعودي، وقد شرع بتصحيحها من خلال عشرات المؤلفات التي شخّص من خلالها مواطن الخلل، فحذّر من الغلوّ والتكفير ونبّه إلى الإرهاب الذي ينتج عنهما منذ أكثر من عشرين عاماً، ووَضع علاجاً ناجعاً شاملاً كاملاً على وفق رؤية واضحة وخطوات عمليّة ثابتة، متخذاً من الأدلة الصحيحة أساساً ومن النقاش العلمي وسيلة إلى الإصلاح وطريقاً إلى التصحيح.

- وَوَضع السيد يدّه على أسباب الغلوّ والتطرّف وأوجد الحلول المناسبة لذلك وفي مطلعها إصلاح المناهج التعليمية، وفتح أبواب الحوار الهادف، وإطلاق الحُرّيّات، والجمع بين تنظيم المناهج العلمية الحديثة، وبين غزارة المادة العلمية في المتون القديمة، كي لا تنقطع صلتنا بالقديم ولا نُخسر الفائدة من الحديث.

- وتبيّن أنّ مكّة المكرمة قد حظيت بالكثير من الأسر العريقة ذات الجذور الطيبة المباركة كالأشراف الذين كانوا يحظون بتقدير أهل مكّة عبر العصور المختلفة ابتداءً بالحُكّام وانتهاءً بعوام المسلمين، كما حظيت بهجرة الكثير من الأسر العريقة إليها بقصد المجاورة.

- واتّضح بعد دراسة عادات أهل مكّة وتقاليدهم أنّها جميعاً داخل إطار الشريعة الغراء، وهي تدلّ على نقاء المجتمع المكي ومكانته.

-وظهر أنّ مَنْ يقوم على خدمة البقاع المقدّسة فإنّ الله يُبقي أثره، ويحفظ ذريته، ويُنجيهم من الشدائد، كما نجّى ذُرِّيَّة الخليل إبراهيم ►، وقد ترك كلّ واحد من الملوك السعوديين أثراً في خدمة المسجد الحرام، فقد أمر الملك عبد العزيز رحمه الله بإزالة بناء المقامات الأربعة، وأمر بتوحيد الصلاة، كما أمر بتوسعة المسجد، وأمر ببناء مصنع لكسوة الكعبة المشرفة، وغيّر الملك سعود الطوق الفضي المحيط بالحجر الأسود وجدّد الملك فيصل مصنع كسوة الكعبة المشرفة، كما جدّد السُّلَم الذي يصعد به إلى الكعبة، وجدّد الملك خالد باب الكعبة وهو الباب الموجود إلى اليوم، ووسّع الملك فهد المسجد الحرام ورَمَّم الكعبة المشرفة ترميماً شاملاً لم يسبق له مثيل، وجدّد ميزابها وحجّرها، رحمهم الله جميعاً ووفق جلاله الملك عبد الله إلى الخير والصالح والإصلاح.